رسول الله يدخل على يهود بيت المدراس ويحاكمهم إلى التوراة

ودخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ بيت المِدْرَاسِ[1] على جماعة من يَهُودَ، فدعاهم إلى الله؛ فقال له النعمانُ بن عمرو، والحارث بن زيد: وعلى أيِّ دينٍ أنْتَ يا محمد؟ قال: «عَلى مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ» قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًّا، فقال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: «فَهَلُمَّ إلى التَّوْرَاةِ فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» فَأَبَيَا عليه، فأنزل الله تعالىٰ فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ [آل عمران: ٢٣ ـ ٢٤] [٤٢٩].

اختلاف اليهود والنصارى في دين إبراهيم وما نزل في ذلك من القرآن

وقال أحبارُ يَهُودَ ونصارَى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فتنازعوا، فقالَتِ الأحبار: ما كان إبراهيمُ إلاَّ يهوديًّا، وقالت النصارَىٰ من أهل نجران: ما كان إبراهيمُ إلا نصرانيًّا؛ فأنزل الله عَزَّ وجلَّ فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨] [٤٣٠].

= وقد سبق الكلام على هذا الإسناد.

[٤٢٩] أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) رقم (٦٧٨١) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس به.

ورواه ابن أبي حاتم (٢٨٦) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة قال: فذكره.

وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد.

وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٤) وزاد عزوه لابن المنذر.

[٤٣٠] أخرجه ابن جرير (٦/ ٤٩٠) رقم (٧٢٠٢). والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٠) وتقدم الكلام على إسناده.

وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٢) من حديث ابن عباس.

---

(١) بيتُ المِدْراس: هو بيتُ اليهودِ حيثُ يَتدارَسون فيه كِتابَهم.

بعض اليهود يدعو إخوانه ليؤمنوا بالنبي نهاراً ويكفروا به ليلاً

وقال عبد الله بن ضَيْفٍ، وعَدِيُّ بْنُ زيدٍ، والحارث بن عَوْفٍ بعضُهُمْ لبعضٍ: تعالَوْا نُؤْمِنْ بِمَا أُنْزِلَ على محمد وأصحابه غُدْوَةً، ونَكْفُرْ به عشيةً؛ حتى نَلْبِسَ عليهم دِينَهُمْ؛ لَعَلَّهم يصنعون كما نصنَعُ ويرجعون عن دينه؛ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧١ ـ ٧٣] [٤٣١].

وقال أبو نافِعٍ الْقُرَظِيُّ حين اجتمعتِ الأحبارُ من يهودَ والنصارَىٰ من أهل نجرانَ عند رسول الله ـ ﷺ ـ ودعاهم إلى الإسلام: أتريدُ منا يا محمَّد أن نعبدك كما تَعْبُدُ النصارَىٰ عيسَىٰ بْنَ مريم/ (١١٣/ب)؟! وقال رجلٌ من أهل نجران نصرانيٌّ يقال له الرُّئِيسُ (ويُرْوَى الريس والرئيس): أوذَاكَ تُرِيدُ مِنا يا محمدُ وإليه تدعونا؟!! أو كما قال، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مُعَاذَ الله أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، فَمَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللَّهُ وَلاَ أَمَرَنِي»، أو كما قال ـ ﷺ ـ: فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

قال ابن هشام؛ الرَّبَّانِيُّونَ: العلماء الفقهاء السَّادَةُ، وأحدهم: رَبَّانِيٌّ؛ قال الشاعر [من البسيط]:

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهَناً فِي الْقُوسِ أَفْتَنَنِي ... مِنْهَا الكَلاَمُ وَرَبَّانِيُّ أَحْبَارِ[1]

قال ابن هشام: الْقُوسُ: صَوْمَعَةُ الراهب، وأَفْتَنَنِي: لُغَةُ تميم، وَفَتَنَنِي: لغة قَيْسٍ؛ قال جَرِيرٌ [من البسيط]:

---

[٤٣١] أخرجه ابن جرير (٦/ ٥٠٤) رقم (٧٢٢٣) وابن أبي حاتم (٧٥٥) وعزاه في الدر المنثور (٢/ ٧٥) إلى ابن المنذر.
من حديث ابن عباس.

---

(١) لو كُنتُ مُرتَهناً: من رَواه بالباء فهو من الرَّهْبَانِيَةِ وهي عبادة النَّصارَى، ومَن رواه بالنون فمعناه مقيمٌ بها.

لاَ وَصْلَ إِذْ صَرَمَتْ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفَتْ لاَسْتَنْزَلَتْنِي وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقُوسِ[1]

أي: صومعة الرَّاهِبِ، والرَّبَّانِيُّ: مشتقٌّ من الرَّبِّ، وهو السيد، وفي كتاب الله (١٢: ٤١): ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] أي: سَيِّدَهُ.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠] [٤٣٢].

ميثاق الله على الأنبياء للإيمان بمحمد

قال ابن إسحاق: ثم ذكر ما أَخَذَ الله عليهم وَعَلىٰ أنبيائهم مِنَ الميثاقِ بتصديقِهِ، إذا هو جَاءَهُمْ وإقرارِهِمْ على أنفسهم؛ فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخر القصة [٤٣٣].

اليهود يحاولون الوقيعة بين أصحاب رسول الله

قال ابن إسحاق: ومَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وكان شَيْخاً قَدْ عَسَا، عَظيمَ الكُفْرِ، شَدِيدَ الضِّغْنِ على المسلمين، شديدَ الحَسَدِ لهم، على نَفَرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ مِنَ الأوس والخزرج في مَجْلِسٍ قد جمعهم يَتَحَدَّثُونَ فيه، فغاظه ما رأى من أُلْفَتِهِم وجماعتهم وصَلاَحِ ذاتِ بَيْنِهم على الإسلام بعد الذي كان بينَهُمْ من العداوة في الجاهلية، فقال: قد

---

[٤٣٢] أخرجه ابن جرير (٦/ ٥٣٩) رقم (٧٢٩٦) وابن أبي حاتم رقم (٨٧٥). والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٨٢) لابن المنذر كلهم من حديث ابن عباس.

[٤٣٣] أخرجه ابن جرير في التفسير (٢/ ٥٥٦) رقم (٧٣٣٣).

وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٨٤) وعزاه لابن المنذر ومن حديث ابن عباس.

ورواه ابن أبي حاتم رقم (٨٨٣) بسنده إلى ابن إسحاق قال: قال محمد بن أبي محمد قال: فذكره.

---

(١) ويروى هذا البيت هكذا:

لا وصلَ إذا صرفت هندٌ ولو وَقَفَتْ لاستفْتَنَتْنِي وذا المِصَينِ في القُوسِ

ينظر: ديوانه ص ١٢٥؛ ولسان العرب ٦/ ١٨٦ (قوس)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٩٦؛ ومقاييس اللغة ٥/ ٤١؛ وتهذيب اللغة ٩/ ٢٢٤؛ وتاج العروس ١٦/ ٤٠٨ (قوس)؛ وبلا نسبة في مجمل اللغة ٤/ ١٣٢.

احتمع مَلأُ[1] بَنِي قَيْلَةَ بهذه البِلاَدِ، لا واللَّهِ ما لنا مَعَهُمْ إذا اجتمع مَلَؤُهُمْ بها من قَرَارٍ، فأمر فَتًى شابًّا من يَهُودَ كان معه، فقال: اُعْمِدْ إليهم فاجلِسْ معهم، ثم اذكُرْ يَوْمَ بُعَاث وما كان قبله، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ ما كانوا تَقَاوَلُوا فيه من الأشعار، وكان يَوْمُ بُعَاث[2] يوماً اقتتلَتْ فيه الأوس والخزرج، وكان الظَّفَرُ فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضَيْرُ بن سِمَاكٍ الأشهليُّ، أبو أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، وعلى الخزرج عَمْرُو بن النُّعْمَانِ الْبَاضِيُّ، فقُتِلاَ جميعاً.

قال ابن هشام: وقال أبو قيس بْنُ الأسلت [من الوافر]:

عَلَى أَنْ قَدْ فُجِعْتُ بِذِي حِفَاظٍ ... فَعَاوَدَنِي لَهُ حُزْنٌ رَصِينُ[3]

فَإِمَّا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْراً ... أُعِضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ سَنِينُ[4]

وهذان البيتان في قصيدة له.

وحديث يوم بُعَاث أَطْوَلُ مما ذكَرْتُ، وإنما منعني من استقصائه ما ذَكَرْتُ من القَطْعِ.

قال ابن هشام: سَنِينُ: مَسْنُونٌ، مِنْ سَنَّهُ شَحَذَهُ.

قال ابن إسحاق: فَفَعَلَ، فتكلَّم القوم عند ذلك، وتنازعوا، وتفاخَرُوا، حتى تَوَاثَبَ رجلان من الحَيَّيْنِ على الرُّكَبِ: أوسُ بن قَيْظِيٌّ أحدُ بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجَبَّارُ بن صَخْرٍ أَحَدُ بني سَلِمَةَ من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رَدَدْنَاهَا/ (١٤٤/أ) الآنَ جَذَعَةً[5]، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، مَوْعِدُكُمُ الظاهِرَةُ، (والظاهرة: الْحَرَّةُ)، السِّلاَحَ السِّلاَحَ، فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فَخرَجَ إليهم فِيمَنْ معه من أصحابه المهاجرين حَتَّى جاءهم؛ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسلِمينَ، اللَّهَ اللَّهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمُ اللَّهُ للإِسْلاَمِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَلَّف بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»؛ فَعَرَفَ القومُ أنها نَزْعَةٌ[6] من الشيطان وكَيْدٌ من عدوهم، فَبَكَوا، وعانَقَ الرجالُ من الأوس والخزرج بعضُهُمْ بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ سامعين مطيعين، قد أَطْفَأَ اللَّهُ عنهم كَيْدَ عَدُوِّ الله شَاسِ بن قَيْسٍ؛ فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صَنَعَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) مَلأ القوم: أشرافُهم، ويقال: جَماعتُهم.

(٢) يومُ بُعاث: يُرْوى بالعين مُهْمَلة وبالغين معجمةً، وأبو عُبَيْدَة يُعْجِم عَيْنَ بُغَاثَ.

(٣) الحِفاظُ: الغَضَب، ورَصينٌ؛ ثابتٌ دَائِمٌ.

(٤) سَنِين: حَادٌّ مَسْنُون.

(٥) رَدَدْناها الآن جَذَعَة؛ أي رَدَدْنا الأمْرَ إلى أوّله.

(٦) النَّزْعَةُ: الإفسادُ بين الناس.

لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ [آل عمران: ٩٨ ـ ٩٩]؛ وأنزل الله في أوس بن قَيْظِيٍّ وجَبَّارِ بن صَخْرٍ ومن كان معهما مِنْ قومهما الذين صَنَعُوا ما صَنَعُوا عما أَدخَلَ عليهم شاس من أمر الجاهلية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٥] [٤٣٤].

قال ابن إسحاق: ولما أسلم عبد الله بن سَلاَمَ، وثَعْلَبَةُ بن سَعْيَةَ، وأُسَيْدُ بن سَعْيَةَ، وأَسَدُ بن عُبَيْد، ومَنْ أَسْلَمَ من يهودَ مَعَهُمْ، فآمنوا وصَدَّقوا ورغبوا في الإسلام، ورَسَخوا فيه، قالتْ أحبار يهود أهلُ الكُفْرِ منهم: ما آمن بمحمَّد ولا اتبعه إلا شِرَارُنَا، ولو كانوا مِنْ أحيارنا ما تركُوا دِينَ آبائهم وذهبوا إلى دين غيره؛ فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣] [٤٣٥].

قال ابن هشام: آناء الليل: ساعات الليل، وواحدها إِنْيٌ؛ قال الْمُتَنَخِّلُ[1] الْهُذَلِيُّ (واسمه مالكُ بْنُ عُوَيْمِرٍ) يَرْثِي أُثَيْلَةَ ابنه [من البسيط]:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعِطْفِ الْقِدْحِ شِيمَتُهُ ... فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ[2]

---

[٤٣٤] أخرجه ابن جرير (٧/ ٥٥) رقم (٧٥٢٤) حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني الثقة عن زيد بن أسلم قال: فذكره.
ورواه ابن أبي حاتم في التفسير رقم (١٠٤٧).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٠٢) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ. وفيه جهالة شيخ ابن إسحاق وهو مرسل أيضاً.

[٤٣٥] أخرجه ابن جرير (٧/ ١٢٠) رقم (٧٦٤٤)، وابن أبي حاتم رقم (١٢٢٠) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤) بأسانيدهم إلى ابن إسحاق.
وفيه مولى زيد بن أسلم تقدم الكلام عنه.
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١١٥) وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن عساكر.
من حديث ابن عباس.

---

(١) يقال: بِفَتْح الخاء وكسرها.
(٢) القِدْحُ: هو السَّهْمُ، وشيمتُه: طبيعتُه.
ويروى هذا البيت هكذا: =

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال لَبِيدُ بن ربيعة يصف حِمَار وَحْشٍ [من الطويل]:

يُطَرِّبُ آنَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ ... غَوِيٌّ[1] سَقَاهُ فِي النَّجَارِ نَدِيمُ

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: إِنّى [مقصورٌ] فيما أخبرني يُونُسُ.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٤].

نهي المسلمين عن اتخاذ بطانة من غيرهم

قال ابن إسحاق: وكان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم مِنَ الجِوَارِ والحِلْفِ في الجاهلية، فأنزلَ اللَّهُ تعالَىٰ فيهم ينهاهم عن مُبَاطَنَتِهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾/ (١١٤/ب) أي: تؤمنون بكتابهم وكتابِكُمْ وبما مضَىٰ من الكُتُبِ قبل ذلك، وهم يَكْفُرُونَ بكتابكم، فأنتم كنتم أَحَقَّ بالبغضاء لهم منهم لكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١١٩] إلى آخر القصة [٤٣٦].

أبو بكر الصديق وفنحاص اليهودي

ودخل أبو بَكْرٍ الصديقُ بَيْتَ المِدْرَاسِ على يهودَ، فوجَدَ منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رَجُلٍ منهم يقال له: فِنْحَاصُ، وكان مِنْ علمائهم وأحبارِهِمْ، ومعه حَبْرٌ من أَحبارِهم

---

[٤٣٦] أخرجه ابن جرير (٧/ ١٤١) رقم (٧٦٨٠) وابن أبي حاتم رقم (١٢٧٣).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ١١٨).
وعزاه لابن المنذر.

حُلْوٌ ومرٌّ كعطف القدح مرته ... في كلِّ آنٍ قَضاهُ الليلُ يَنْشَعِلُ

ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ١٢٨٣؛ ولسان العرب ١٤/ ٥٠ (أنى)؛ وتاج العروس (أنى)، (نعل)؛ وأساس البلاغة (زلم)؛ وللهذلي في جمهرة اللغة ص ١٣٣٥؛ ومجمل اللغة ١/ ٢٠٨؛ وبلا نسبة في لسان العرب ١١/ ٦٦٨ (نعل)؛ وتهذيب اللغة ٢/ ٤٠٠، ١٥/ ٥٥٢؛ وجمهرة اللغة ص ٢٥٠.

(١) الغَوِيُّ: المُفْسِد. وينظر ديوانه ص (٩٦).

يقال له: أَشْيَعُ، فقال أبو بكر لِفِنْحَاصَ: وَيْحَكَ يا فِنْحَاصُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّك لَتَعْلَمُ إِنَّ مُحَمَّداً لَرَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عندكم في التَّوْرَاةِ والإِنْجِيل، فَقَالَ فِنْحَاصُ لأبي بكر: وَاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ، ما بِنَا إلى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ، وإنه إلينا لَفَقِيرٌ، وما نَتَضَرَّعُ إليه كما يتضرَّعُ إلينا، وإنا عنه لأَغْنِيَاءُ وما هو عنا بِغَنِيٍّ، ولو كان عنا غنيًّا ما اسْتَقْرَضَنا أموالنا كما يزعُمُ صَاحِبُكُمْ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا، قال: فَغَضِبَ أبو بكر فَضَرَبَ وجه فِنْحَاصَ ضَرْباً شديداً، وقال: والذي نَفْسِي بيده، لولا العهدُ الذي بيننا وبينك لضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَي عَدُوَّ الله، قال: فذهب فِنْحَاصُ إِلَى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ؟!» فقال أبو بكر: يا رَسُولَ الله، إن عدوَّ الله قال قولاً عظيماً؛ إنه زعم أن الله فقيرٌ إليهم وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غَضِبْتُ لِلَّهِ مما قال، وضربْتُ وجهه، فَجَحَدَ ذَلك فِنْحَاصُ، وقال: ما قلْتُ ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحَاصُ؛ رَدًّا عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١]؛ ونزل في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وما بلغه في ذلك من الغضب (٣ ـ ١٨٦): ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ثُم قال فيما قال فِنْحَاصُ والأحبار معه مِنْ يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨].

يعني: فِنْحاصَ وأَشْيَعَ وأشباههما من الأحبار الذين يَفْرَحُونَ بما يصيبون من الدنيا عَلىٰ ما زَيَّنوا للناس من الضلالة، ويُحِبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا؛ أن يقولَ الناسُ: علماء، وليسوا بأهلِ عِلْمٍ، لم يحملوهم على هُدًى ولا على حَقٍّ، ويحبُّونَ أن يقولَ الناسُ: قد فعلوا [٤٣٧].

---

[٤٣٧] أخرجه ابن جرير (٧/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) رقم (٨٣٠٠) بإسناده عن ابن إسحاق عن ابن أبي محمد عن عكرمة أنه حدث عن ابن عباس فذكره.
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٨٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم ورواه ابن جرير (٧/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) رقم (١ ـ ٣) عن عكرمة مولى ابن عباس به.

اليهود يأمرون الناس بالبخل

قال ابن إسحاق: وكان كَرْدَمُ بن قَيْسٍ حليفُ كعب بن الأشرف، وأسامَةُ بن حَبِيبٍ، ونَافِعُ بن أبي نافع، وبَحْرِيُّ بن عَمْرٍو، وحُيَيُّ بن أخْطَبَ، ورفاعة بن زيد بن التابوتِ؛ يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم ينتصحُونَ لهم من/ (١١٥/أ) أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكُمْ؛ فإنا نخشَى عليكم الفَقْرَ في ذَهَابِهَا، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لاتَدْرُون عَلاَمَ يَكُونُ؛ فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: مِنَ التوراة التي فيها تصديقُ ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٧ ـ ٣٩] [٤٣٨].

اليهود يجحدون الحق

قال ابن إسحاق: وكان رِفَاعَةُ بن زيد بن التابوتِ مِنْ عظماء يهود، إذا كَلَّمَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ لَوَىٰ لِسانَهُ، وقال: أَرْعِنَا سَمْعَكَ يا محمَّدُ حَتَّىٰ نُفْهِمَكَ، ثم طَعَنَ في الإسلام وعابه، فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا﴾ أي: رَاعِنَا سَمْعَكَ؛ ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٤ ـ ٤٦] [٤٣٩].

وكلَّم رسولُ الله ـ ﷺ ـ رُؤَسَاءَ مِنْ أحبار يَهُودَ، منهم عبد الله بن صُورى الأَعْوَرُ، وكَعْبُ بن أسد، فقال لهم: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّ الَّذِي جِئْتُكُم بِهِ لَحَقٌّ» قالوا: ما نَعْرِفُ ذلك يا محمَّد، فجَحَدُوا ما عَرَفُوا وَأَصَرُّوا على الكُفْرِ؛ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

---

[٤٣٨] أخرجه ابن جرير (٨/ ٣٥٣) رقم (٩٥٠١).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٨٩) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
[٤٣٩] أخرجه ابن جرير (٨/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) رقم (٩٦٨٩) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٣٠٠) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

[النساء: ٤٧] [٤٤٠].

قال ابن هشام: نَطْمِس: نمسحها فنسويها فلا يُرَى فيها عينٌ ولا أنْفٌ ولا فَمٌ، ولا شيءٌ مما يُرَى في الوجه؛ وكذلك: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، المطموسُ العين: الذي ليس بين جفنيه شِقٌّ، ويقال: طَمَسْتُ الكتابَ والأثر فلا يُرَىٰ منه شيء؛ قال الأخطل: (واسمه الغَوْثُ بن هُبَيْرَةَ[1] ابن الصلتِ التغلبيُّ) يصف إبلاً كَلَّفَها ما ذكر [من الطويل]:

وَتَكْلِيفُنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصُّوَىٰ ... شَطُونٍ تَرَىٰ حِرْبَاءَهَا يَتَمَلْمَلُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوَّةٌ، والصُّوَى: الأعلامُ التي يستدلُّ بها على الطريق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَتْ فاستوَتِ الأرضُ فليس فيها شيء ناتيءٌ.

اليهود الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق: وكان الذين حَزَّبُوا الأَحْزَابَ مِنْ قريشٍ وغَطَفَانَ وبني قُرَيظة: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وسَلاَّمُ بْنُ أبي الْحُقَيْقِ، وأَبُو رَافِعٍ، والرَّبِيعُ بن الرَّبِيعِ بن أبي الْحُقَيْقِ، وأبو عَمَّارٍ، وَوَحْوحُ بْنُ عامر، وهَوْذَةَ ابن قَيْسٍ، فأما وَحْوَحٌ وأبو عَمَّار وهَوْذَةُ فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النَّضِيرِ، فلما قَدِمُوا على قريشٍ قالوا: هؤلاءِ أَحْبَارُ يَهُودَ وأَهْلُ العِلْم بالكتاب الأوَّل، فَسَلُوهُمْ أدينكم خير أم دين محمد، فسألوهم، فقالوا: بل دينُكُمْ خَيْرٌ من دينه، وأنتم أهدَىٰ منه وممن/ (١١٥/ب) اتبعه؛ فَأَنْزَلَ الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾.

قال ابن هشام: الجِبْتُ ـ عند العرب ـ: ما عُبِدَ مِنْ دون الله تبارك وتعالى، والطَّاغُوتُ: كُلُّ ما أَضَلَّ عن الحق، وجَمْعُ الْجِبْتِ: جُبُوتٌ، وجمع الطاغوت: طَوَاغِيتُ.

وقال ابن هشام: وبلغنا عن ابن أبي نَجِيحٍ أنه قال: الجِبْتُ: السحرُ، والطاغوت: الشيطان.

---

[٤٤٠] أخرجه ابن جرير (٨/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) رقم (٩٧٢٤) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

---

(١) الغَوْثُ بن هُبَيْرة: كذا قال ابن هشام، والمشهور فيه غِياثُ بن غَوْثٍ.
(٢) شَطونٌ، أي: بعيدةٌ. والحِرْباءُ: دُوَيْبَّةٌ أَكْبَرُ مِنَ العَظَاةِ تَسْتَقْبِل الشَّمس، وتدور معها أَيْنما دارَتْ. وَيَتَمَلْمَلُ: يَتَقَلَّب من شِدَّة الحرّ. وينظر ديوانه ص (٢٢٧) وفيه «نازحة» بدل «طامسة».

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

قال ابن إسحاق: إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٤] [٤٤١].

اليهود ينكرون التنزيل

وقال سُكَيْنُ وَعَدِيُّ بن زيد: يا محمَّد، ما نعلم أن الله أَنْزَلَ على بشر من شيءٍ بعد موسَى، فأنزل الله تعالى ذلك مِنْ قولهما: ﴿۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥] [٤٤٢].

ودخلتْ على رسول الله ـ ﷺ ـ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ؛ فقال لهم: «أَمَا وَاللَّهِ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمونَ أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ» قَالُوا: ما نعلمه، وما نشهد عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦] [٤٤٣].

اليهود يحاولون إلقاء صخرة على رسول الله فينجيه الله من ذلك

وخرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى بني النَّضِيرِ يستعينهم في دِيَةِ العَامِرِيَّيْنِ الذين قَتَلَ عَمْرُو بن أمية الضَّمْرِيُّ، فلما خلا بعضُهُمْ ببعض قالوا: لَن تَجِدُوا محمداً أَقْرَبَ منه الآن، فمَنْ رجُلٌ يَظْهَرُ عَلَىٰ هذا البيتِ، فَيَطْرَحُ عليه صَخْرَةً فيُرِيحنا منه؟! فقال عَمْرو بن جِحَاشٍ بن كعب: أنا فأتَى رسولَ الله ـ ﷺ ـ الخَبَرُ، فانصرَفَ عنهم، فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١] [٤٤٤].

---

[٤٤١] أخرجه ابن جرير (٨/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) رقم (٩٧٩٢).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٣٠٧) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن أبي محمد.

[٤٤٢] أخرجه ابن جرير (٩/ ٤٠٠) رقم (١٠٨٤٠) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٤٣٥) لابن المنذر.

[٤٤٣] أخرجه ابن جرير (٩/ ٤٠٩) رقم (١٠٨٥٠، ١٠٨٥١) والبيهقي في دلائله (٢/ ٥٣٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٤٣٩) إلى ابن المنذر.

[٤٤٤] أخرجه ابن جرير (٤/ ٤٨٥) رقم (١١٥٦٠) بسنده إلى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة =

وأتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ نُعْمَانَ بن أَضَا، وبَحْرِيُّ بن عمرو، وشَاسُ بن عَدِيٍّ، فكلَّموه، وكلَّمهم رسول الله ـ ﷺ ـ ودعاهم إلى الله، وحَذَّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوِّفُنا يا محمد؟ نحنُ واللَّهِ أبناءُ الله وأحِبَّاؤُهُ، كقَوْلِ النَصارَىٰ؛ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨] [٤٤٥].

قال ابن إسحاق: ودعا رسولُ الله ـ ﷺ ـ يهود إلى الإسلام، ورغَّبهم فيه، وحَذَّرهم غِيَرَ الله[1] وعُقُوبَتَهُ، فَأَبَوْا عليه، وكَفَرُوا بما جاءهم به، فقال لهم مُعَاذُ بنُ جَبل، وسَعْدُ بن عُبادة، وعُقْبَةُ بن وَهْب: يا معشر يهود، اتَّقوا اللَّهَ، فواللَّهِ إنَّكُمْ لتعلَمُونَ أنه رَسُولُ الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قَبْلَ مبعثه، وتَصِفُونَهُ لنا بصفته، فقال رافعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ ووَهْبُ بن يَهُوذَا: ما قلنا لكم هذا قَطُّ، وما أنزل/ (١١٦/أ) الله مِنْ كِتَابٍ بعد موسَى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده؛ فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩] [٤٤٦].

ثم قصَّ عليهم خبر موسَى، وما لقي منهم، وانتقاضَهُمْ[2] عليه، وما رَدُّوا عليه مِنْ أَمْرِ الله حتى تاهوا في الأرضِ أربعين سنَةً عقوبةً.

اليهود ترجع إلى النبي في عقوبة الزاني المحصن

قال ابن إسحاق: وحدَّثني ابن شهاب الزُّهْرِيُّ، أنه سمع رجلاً مِنْ مُزَيْنَةَ من أهل

= وعبد الله بن أبي بكر قالا: فذكره.

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٤٧٠) إلى ابن المنذر وقد عنعنه ابن إسحاق وهو مدلس.

وأيضاً هو مرسل عاصم وعبد الله بن أبي بكر من ثقات التابعين كما تقدم مراراً.

[٤٤٥] أخرجه ابن جرير (٤/ ٥٠٥) رقم (١١٦١٦) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٤٧٦) لابن أبي حاتم وابن المنذر وفيه ابن أبي محمد مجهول تقدم الكلام عليه.

[٤٤٦] أخرجه ابن جرير (٤/ ٥٠٧) رقم (١١٦١٩) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٥).

وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) غِيَرُ الله، يعني: تَغْيِيرَ أَحْوَالهم وزَوالَ نِعْمَتِهم.

(٢) وانْتِقاضَهم، يعني: افتراقَهم.

العلْم يُحَدِّثُ سعيدَ بن المسَيِّبِ، أن أبا هريرة حدَّثهم، أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت الْمِدْرَاسِ ـ حين قدم رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينَةَ ـ وقد زَنَىٰ منهم بعد إحصانه بامرأةٍ من يَهُودَ قد أَحْصَنَتْ، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجُلِ وهذه المرأةِ إلى محمد فَسَلُوهُ كَيْفَ الحُكْم فيهما، وَوَلُّوه الحكْمَ عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِيَةِ[1] (والتَّجْبِيَة: الْجِلدُ بحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ مَطْلِيٍّ بقارٍ، ثم تُسَوَّدُ وجوههما، ثم يُحْمَلاَنِ على حمارين، وتجعل وجوههما مِنْ قِبَلِ أدبار الحِمَارَيْنِ)؛ فاتَّبِعُوهُ؛ فإنما هو مَلِكٌ وصدِّقوه، وإن هو حكَمَ فيهما بالرَّجْمِ؛ فإنه نبيٌّ فاحذروه على ما في أيديكم أن يَسْلُبَكُمُوهُ، فَأَتَوْهُ، فقالوا: يا محمَّدُ، هذ رجل قد زَنَىٰ بعد إحصانه بامرأةٍ قد أحصَنَتْ، فاحكم فيهما فقد وَلَّيْنَاكَ الحُكْمَ فيهما، فمشَىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ حتَّى أتى أحبارهم في بيت المِدْرَاسِ، فقال: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَخْرِجُوا إليَّ عُلَمَاءَكُمْ» فأخرجوا له عبد الله بن صُورَىٰ.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعض بني قُرَيظة أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابْنِ صُورَىٰ أبا يَاسِرِ بْنَ أَخْطَبَ، وَوَهْبَ بن يَهُوذا، فقالوا: هؤلاءِ علماؤُنَا، فسألهم رسول الله ـ ﷺ ـ ثم حَصَّلَ أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورَىٰ: هذا أعلَمُ من بَقِيَ بالتوراة.

قال ابن هشام: من قوله: «وحدَّثني بعض بني قُرَيْظَة» إلى «أَعْلَمُ مَنْ بقي بالتوراة» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله.

فخلا به رسولُ الله ـ ﷺ ـ وكان غلاماً شابًّا مِنْ أحدثهم سنًّا فَأَلَظَّ به[2] رسولُ الله ـ ﷺ ـ المسألة، يقول له: «يَا ابْنَ صُورَىٰ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَأُذَكِّرُكَ بأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الله حَكَمَ فِيمَنْ زَنَىٰ بَعْدَ إحْصَانِهِ بالرَّجْمِ في التَّوراةِ؟» قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا القَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ إِنَّكَ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ، قَالَ: فَخَرجَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَنِي غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ صُورَى، وَجَحَدَ نُبُوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: الذين بعثوا مِنْهُمْ مَنْ بعثوا وتخلَّفوا وأمروهم بما أَمَرُوهُمْ به مِنْ تحريف الحُكْم عن مواضعه، ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾

---

(١) التَّجْبِيةُ في أصل اللغة: مقابلةُ الرجل بما يَكْرَه.

(٢) أَلَظَّ به أي: ألَحَّ عليه، وفي الحديث: «أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام» أي: ألْزَموا هذه الدَّعْوة، وقد تقدم.

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ ﴾/ (١١٦/ب) أي: الـرَّجْـم، ﴿فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١] إلى آخر القصة [٤٤٧].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانَةَ، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أَمَرَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بِرَجْمِهِما، فَرُجِمَا بِبَابِ مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ اليَهُودِيُّ مَسَّ الحِجَارَةِ قَامَ إِلىٰ صَاحِبَتِهِ فَجَنَأَ عَلَيْهَا[1]، يَقِيهَا مَسَّ الْحِجَارَةِ، حَتَّىٰ قُتِلاَ جَمِيعاً، قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ لِرَسُولِ الله ـ ﷺ ـ في تَحْقِيقِ الزِّنَا مِنْهُمَا [٤٤٨].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالح بن كَيْسَانَ، عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: لما حَكَّمُوا رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ فيهِمَا دَعَاهُمْ بِالتَّوْرَاةِ وَجَلَسَ حَبْرٌ مِنْهُمْ يَتْلُوهَا، وَقَدَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجْمِ، قَالَ: فَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ يَدَ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ آيَةُ الرَّجْمِ، يَأْبَىٰ أَنْ يَتْلُوَهَا عَلَيْكَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ:

---

[٤٤٧] أخرجه أبو داود (٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦) كتاب الحدود، باب من رجم اليهوديين الحديث (٤٤٥٠، ٤٤٥١). والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٨٠) كتاب الشهادات، باب كيف يحلف أهل الذمة والمستأمنون (مختصراً).

ورواه في الدلائل (٦/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) كلهم من طريق الزهري عن رجل من مزينة قال: حدثنا أبو هريرة.

ورواه البيهقي في الدلائل أيضاً عن ابن إسحاق نعقبه وللحديث شاهد من حديث ابن عمر وآخرين وهو الآتي قريباً.

[٤٤٨] أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٥) وأحمد (٢٣٦٨ ـ شاكر) والطبراني في الحكم (١٠/ ٤٠٣) (١٠٨٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن يزيد بن ركانة عن اسماعيل بن إبراهيم الشيباني عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ ـ أتى بيهودي ويهودية قد أحصنا فسألوه أن يحكم فيهما بالرجم فرجمهما في فناء المسجد.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولعله متوهماً من غير أهل الصنعة يتوهم أن إسماعيل الشيباني هذا مجهول وليس كذلك فقد روى عنه ابن دينار والأثرم. وقال الذهبي: إسماعيل معروف أهـ.

والحديث ليس على شرط مسلم لأن مسلماً لم يخرج للشيباني هذا، وذكر الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧٤) وقال: رواه أحمد والطبراني... ورجل أحمد ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية أحمد أهـ.

---

(١) فجنأ عليها، أي: انحنى، والجناء هو الانحناء، ورجلٌ أجْنَأ أي: مُنْحنٍ، ومَن رواه: فحنا عليها بالحاء المهملة فهو من الانحناء أيضاً.

«وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ!! ما دَعَاكمْ إِلىٰ تَرْكِ حُكْمِ اللَّهِ وَهُوَ بأَيْدِيكُمْ» قَالَ: فقالوا: أما والله إِنَّهُ قد كان فينا يُعْمَلُ به، حتَّىٰ زَنَىٰ رَجُلٌ منا بعد إحصانِهِ مِنْ بُيُوتِ الملوكِ وأهلِ الشرف، فمنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله، حتى تَرْجُمَ فلاناً، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلَحُوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ، وأماتوا ذِكْرَ الرجم والعَمَلَ به، قال: فَقَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَ اللَّهِ وَكِتَابَهُ وَعَمِلَ بِهِ» ثم أمر بهما فَرُجِمَا عِنْدَ باب مَسْجِدِهِ، قال عبد الله بن عُمَرَ: فكنْتُ فيمن رَجَمَهُمَا [٤٤٩].

كان اليهود يتظالمون في الدية فردهم رسول الله إلى الحق فيها

قال ابن إسحاق: وحدَّثني داود بن الحُصَيْنِ، عن عكرمة، عن ابن عَبَّاس، أَنَّ الآياتِ من المائدةِ التي قال الله فيها: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، إنما أنزلَتْ في الدية بين بني النَّضِير وبني قريظة؛ وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شَرَفٌ يُودَوْنَ الديةَ كاملةً، وأن بني قريظة كانوا يُودَوْنَ نصفَ الديةِ، فتحاكَمُوا في ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فيهم، فحملهم رسول الله ـ ﷺ ـ على الحَقِّ في ذلك: فجعل الديةَ سواءً [٤٥٠].

---

[٤٤٩] أخرجه مالك (٢/ ٨١٩) كتاب الحدود: باب ما جاء في الرجم حديث (١) والبخاري (٦/ ٦٣١) كتاب المناقب: باب قول الله تعالى: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم... حديث (٣٦٣٥) ومسلم (٣/ ١٣٢٦) كتاب الحدود: باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى حديث (٢٦/ ١٦٩٩) وأبو داود (٢/ ٥٥٨) كتاب الحدود: باب في رجم اليهوديين، حديث (٤٤٤٦) والترمذي (٤/ ٤٣) كتاب الحدود: باب ما جاء في وجم أهل الكتاب، حديث (١٤٣٦) وابن ماجه (٢/ ٨٥٤) كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية حديث (٢٥٥٦).

[٤٥٠] وأخرجه أحمد (١/ ٣٦٣) وأبو داود (٣/ ٣٠٣) كتاب الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة الحديث (٣٥٩١) والنسائي (٨/ ١٩) كتاب القسامة، باب ذكر الاختلاف على عكرمة. وابن جرير في التفسير (٤/ ٥٨٣) رقم (١١٩٧٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧) رقم (١١٥٧٣).

كلهم من طريق ابن إسحاق قال حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس.

وهو «ضعيف الإسناد» فيه داود بن الحصين قال الحافظ في التقريب (١/ ٢٣١): ثقة إلا في عكرمة ورمى برأي الخوارج» أهـ.

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٥٠٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

ورواه أبو داود (٤/ ١٦٨) كتاب الديات، باب النفس بالنفس الحديث (٤٤٩٤) والنسائي (٨/ ١٨) في القسامة، باب ذكر الاختلاف على عكرمة.

وابن حبان (١١/ ٤٤٢) رقم (٥٠٥٧) وهو برقم (١٧٣٨) في الموارد والحاكم (٤/ ٣٦٦) والبيهقي (٨/ ٢٤) كتاب الجنايات، باب إيجاب القصاص في العمد. =

قال ابن إسحاق: فاللَّهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

تآمر اليهود على فتنة رسول الله فرد الله كيدهم وأبى رسوله

قال ابن إسحاق: وقال كَعْبُ بن أَسدٍ، وابن صَلُوبَا، وعبد الله بن صُوَرى، وشاسُ بن قيس بَعْضُهُمْ لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلَّنا نفتنه عن دِينِهِ، فإنما هو بشر، فَأَتَوْهُ فقالوا له: يا محمَّد، إنك قد عرفتَ أَنَّا أَحْبَارُ يهود وأشرافُهُمْ وسادتُهُمْ، وإنا إن اتبعناك اتبعتْكَ يهود، ولم يخالفونا وإنَّ بيننا وبين بعض قَوْمِنا خصومةً، أفنحاكمهم إِلَيْكَ فتقضِي لَنَا عليهم ونؤمنُ بكَ ونصدِّقُكَ؟! فأبَىٰ ذلك رسولُ الله ـ ﷺ ـ عليهم؛ فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠] [٤٥١]

اليهود يجحدون نبوة عيسى بن مريم

قال ابن إسحاق: وأتى رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ نَفَرٌ، منهم: أبو ياسِرِ بْنُ أَخْطَبَ، ونَافِعُ بْنُ أبي نَافِعٍ، وعَازِرُ بن أبي عَازِرٍ، وخالدٌ، وَزَيْدٌ، وإِزَارُ بن أبي إِزَارٍ، وأَشْيَعُ، فسألوه عمن/ (١١٧/أ) يؤمن به من الرُّسُلِ، فقال ـ ﷺ ـ: «نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» فلما ذكر عيسى بن مريم جَحَدُوا نبوته، وقالوا: لا نؤمنُ بعيسى بن مريم، ولا بَمَنْ آمَنَ به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩] [٤٥٢].

وأتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ رافعُ بنُ حارثة، وسَلاَّمُ بن مِشْكَمٍ[1]، ومالك بن الضَّيْفِ،

= والطبري في التفسير (٤/ ٥٨٣) رقم (١١٩٨٠).
كلهم من طريق علي بن صالح بن سماك عن عكرمة عن ابن عباس.

[٤٥١] أخرجه ابن جرير (٤/ ٦١٤) رقم (١٢١٥٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٣٦) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد بالإسناد المتقدم مراراً.
وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم في الدر (٢/ ٥١٣).

[٤٥٢] أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٣٢) وأبو الشيخ وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢/ ٥٢٢).

---

(١) وسَلاَّم بن مِشكم: رُوي بتخفيف اللام وتشديدها ومَن قاله بالتخفيف فيَسْتَشْهد عليه بقول الشاعر [من الطويل]: =

ورافع بن حُرَيْمَلَةَ، فقالوا: يا محمد، ألستَ تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمنُ بما عندنا من التوراة، وتشهدُ أنها من الله حق؟! قال: «بَلَى، وَلكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ وَجَحَدتُّمْ مَا فِيهَا مِمَّا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمِيثَاقِ فِيهَا، وَكَتَمْتُمْ مِنْهَا مَا أمرتُمْ أنْ تُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ، فَبَرِئْتُ مِنْ إحداثِكُمْ» قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُ بِمَا في أَيْدِينَا، فَإِنَّا عَلَى الْهُدَىٰ وَالحَقِّ، وَلاَ نُؤْمِنُ بِكَ وَلاَ نَتَّبِعُكَ، فَأَنْزَلَ الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨] [٤٥٣].

بعض اليهود يسأل عن الوحدانية سؤال المنكر

قال ابن إسحاق: وأتىٰ رسُولَ الله ـ ﷺ ـ النَّحَّامُ بن زيد، وفَرْدَمُ بن كَعْب، وَبَحريُّ بن عمرو، فقالوا له: يا محمد، أما تَعْلَمُ مع الله إلهاً غيره؟! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ وَإِلى ذَلِكَ أَدْعُو»؛ فأنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٩ ـ ٢٠] [٤٥٤].

نهي المسلمين عن موالاة المنافقين

وكان رِفاعَةُ بن زيد بن التابوت وسُوَيْدُ بن الحَرِثِ قَدْ أَظْهَرَا الإِسْلاَمَ ونافقا، فكَانَ رجَالٌ من المسلمين يُوَادُّونَهُمَا؛ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة: ٥٧ ـ ٦١] [٤٥٥].

---

[٤٥٣] أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٤٩) رقم (١٢٢٨٧) وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٥٣١) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس.

[٤٥٤] أخرجه ابن جرير (٥/ ١٦٣) رقم (١٣١٣٢) وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ١٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ أيضاً من حديث ابن عباس وفيه ابن أبي محمد.

[٤٥٥] أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٣٠) (١٢٢٢١).

=

= سَقَاني فأرْوَاني كُمَيْتاً مُدَامةً على عَجَلٍ مِنِّي سَلاَمُ بنُ مِشْكَمِ

ويُرْوى: على ظمأ مِنِّي، وقد يَحْتَمل أن يكون الشاعر خَفَّفه ضرورة، وهذا البيتُ يُنسب إلى أبي سُفيان والد مُعاوية في أبيات قالها.

بعض اليهود يسأل النبي عن الساعة

وقال جَبَلُ بن أبي قُشَيْرٍ، وَشَمْوِيلُ بن زَيْدٍ لِرسولِ الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، أخبرنا مَتَىٰ تقوم الساعَةُ إنْ كُنْتَ نبيًّا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيهما (٧: ١٨٧): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧] [٤٥٦].

قال ابن هشام: «أَيَّانَ مُرْسَاها»: متَىٰ مُرْساها؛ قال قَيْسُ بن الْحَدادِيَّةِ الخزاعيُّ [من الطويل]:

فَجِئْتُ وَمُخْفَى السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... لِأَسْأَلَهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعُ؟

وهذا البيت في قصيدة له.

ومُرْساها: منتهاها، وجمعه: مَرَاسٍ؛ قال الكُمَيْتُ بْنُ زيد [من الخفيف]:

وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّا ... سُ وَمُرْسَىٰ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ

وهذا البيت في قصيدة له.

ومُرْسَى السَّفِينَةِ: حيث تَنْتَهِي، و «حَفِيٌّ عَنْهَا» على التقديم/ (١١٧/ب) والتأخير يقول: يسألونك عنها كأنك حفي بهم فتخبرهم بما لا تُخْبِرُ به غيرهم، والحفي: البَرُّ المتعهد، وفي كتاب الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وجمعه أَحْفِيَاءُ؛ وقال أعشى بني قيس بن ثَعْلَبَة [من الطويل]:

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَارُبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والحفيُّ أيضاً: المستَحْفِي عن عِلْمِ الشيء المبالِغُ في طلبه.

قال ابن إسحاق: وأتَىٰ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ سَلاَّمُ بن مِشْكَم، ونُعْمَانُ بن أبي أَوْفَىٰ، أَبُو أنسٍ، ومحمودُ بنُ دَحْيَةَ، وشَاسُ بن قَيْسٍ، ومالك بن الضَّيْفِ، فقالوا له: كيف نتبعُكَ

= وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٥٢١) لأبي الشيخ وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[٤٥٦] عزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٧٤) لابن جرير وأبي الشيخ ولم أجده في نسختي من جامع البيان فلعله سقط من الطابع فليراجع.

وهو من حديث ابن عباس.

---

(١) ينظر: ديوانه ص (٥٠).

وقَدْ تركْتَ قبلتنا وأَنْتَ لا تزعُمُ أن عزيراً ابن الله؟! فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ . . .﴾ [التوبة: ٣١] إلى آخر القصة.

قال ابن هشام: يُضَاهِئُونَ: أي يشاكل قولُهُمْ قولَ الذين كفروا؛ نحو أَنْ تُحَدِّثَ بحديثٍ فيحدِّثَ آخرُ بمثله، فهو يضاهيك.

بعض اليهود ينكر تنزيل القرآن وما نزل في ذلك

قال ابن إسحاق: وأتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ محمودُ بن سَيْحَانَ، وَنُعْمَانُ بن أَضَا، وَبَحْرِيُّ بن عَمْرٍو، وعُزَيْزُ بْنُ أبي عُزَيْرٍ، وَسَلاَّمُ بن مِشْكَم، فقالوا: أَحَقٌّ يا محمد أَنَّ هٰذا الذي جِئْتَ به الْحَقُّ مِنْ عند الله، فإنا لا نراه مُتَّسِقاً كما تَتَّسِقُ التَّوراة؟ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَما وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ في التَّوْرَاةِ، وَلَوِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ» فقالوا عِنْدَ ذلك وهم جَميعٌ: فِنْحَاصٌ، وعبدُ الله بن صُورَىٰ، وابن صَلُوبَا، وكِنَانة بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ، وأَشْيَعُ، وكَعْب بن أَسَدٍ، وَشَمْوِيلُ بن زَيْد، وجَبَلُ بن عَمْرِو بن سُكَيْنَةَ: يا محمد، أما يُعَلِّمُكَ هذا إنْسٌ ولا جِنٌّ؟! فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمونَ إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ؛ تَجِدُونَ ذَلِكَ مَكْتُوباً عِنْدَكُمْ فِي التَّورَاةِ» فَقَالُوا: يا محمَّد، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ لرسوله إذا بعثَهُ ما يشاء، ويقدر منه على ما أراد، فَأَنْزِلْ علينا كتاباً من السماءِ نَقْرَؤُهُ، وإلاَّ جئناك بِمِثْلِ ما تأتي به، فأَنْزَلَ الله تعالَى فيهم وفيما قالوا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال ابن هشام: الظَّهِيرُ: الْعَوْنُ؛ ومنه قول العرب: «تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ» أي: تعاونوا عليه، قال الشَّاعِرُ [من الخفيف]:

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدِّيـ ـنِ قِوَاماً وَلِلإِمَامِ ظَهِيرَا

أي: عَوْناً، وجمعه: ظُهَرَاءُ.

بعض اليهود يسأل النبي عن ذي القرنين

قال ابن إسحاق: وقال حُيَيُّ بن أَخْطَبَ، وكَعْبُ بن أسد، وأبو نافع وَأَشْيَعُ وشَمْوِيلُ بن زيد، لعبد الله بن سَلاَمٍ حين أَسْلَمَ: ما تَكُونُ النبوَّةُ في العَرَبِ، ولكنْ صاحِبُكَ مَلِكٌ، ثم جاءوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ فسألوه عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَصَّ عليهم ما جاءه مِنَ الله تعالى فيه

مما كان قَصَّ عَلى قريش، وهُمْ كانوا ممَّنْ أَمَرَ قُرَيْشاً أَن يَسألوا رسول الله ـ ﷺ ـ عنه حِينَ بعثوا إليه النَّضرَ بْنَ الحرث، وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ [٤٥٧].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثْتُ عن سعيد بن جُبَيْرٍ أنه قال: أَتى رَهْطٌ من يهودَ إلَى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا محمد، هذا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ الله؟ قال: فَغَضِبَ رسول الله ـ ﷺ ـ حتى انْتُقِعَ/ (١١٨/ أ) لَوْنَهُ[١]، ثم سَاوَرَهُم[٢]، غَضَباً لربه، قال: فجاءه جبريلُ ـ عليه السلام ـ فَسكَّنَهُ، فقال: خَفِّضْ عليْكَ يا محمد، وجاءه مِنَ الله بجوابِ ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١ ـ ٤] قال: فلما تلاها عليهم قالوا: فَصِفْ لَنَا يا محمَّد كَيْفَ خَلْقُهُ؟ كَيْف ذِرَاعُهُ؟ كَيْفَ عَضُدُهُ؟ فَغَضِبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَشَدَّ مِنْ غضبه الأول، وساورهم، فأتاه جبريلُ ـ عليه السلام ـ فقال له مثلَ ما قال له أولَ مرَّة، وجاءه مِنَ الله تعالى بجوابِ ما سألوه عنه، يقولُ الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] [٤٥٨].

قال ابن إسحاق: وحدثني عُتْبَةُ بن مسلم مولَىٰ بني تَيْم عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن، عن أبي هُرَيرة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: «يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هٰذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، ثُمَّ لْيَتْفُلِ الرَّجُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [٤٥٩].

---

[٤٥٧] أخرجه ابن جرير (٨/ ١٤٥) الحديث (٢٢٦٩٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٣٦٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم أيضاً وفيه محمد بن أبي محمد تقدم الكلام عليه.

[٤٥٨] أخرجه ابن جرير في التفسير (١١/ ٢٦) رقم (٣٠٢٢٩) وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) رقم (٨١).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٦٢٧) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
وقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٢٦) بسنده عن الحسن بن عطية عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن اليهود والنصارى وصفوا الرب عز وجل فأنزل الله عز وجل على نبيه ـ ﷺ ـ ثم ذكر مثل حديث سعيد.

[٤٥٩] أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣١) كتاب السنة، باب في الجهمية الحديث (٤٧٢٢).

---

(١) امْتَقع لونُه، وانتُقِع بالميم والنون معناه: تَغَيَّر، وقد تقدم.
(٢) سَاوَرَهُم معناه: واثَبَهُم وبَاطَشَهم.

قال ابن هشام: الصَّمَدُ: الذي يُصْمَدُ وَيُفْزَعُ إليه، قالَتْ هند بنت مَعْبَد بن نَضْلَة تَبْكِي عَمْرَو بن مسعودٍ، وخالَد بْنَ نَضْلَةَ عَمَّيْهَا الأَسَدِيَّيْن، وهما اللذان قَتَلَ النعمانُ بن المنذر اللَّخْمِيُّ وبَنَي الغَرِيَّيْنِ[1] اللذَيْن بالكوفة عليهما [من الطويل]:

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي[2] بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وفد نجران وشهادة أحدهم بنبوة رسول الله

قال ابن إسحاق: وَقَدِمَ عَلىٰ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وَفْدُ نصارَىٰ نجرانَ ستُّونَ راكباً، فيهم أربعةَ عَشَرَ رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثَلاثَةُ نفرٍ إليهم يَئول أمرهم: العَاقِبُ: أميرُ القَومِ، وذُو رأيهم، وصَاحِبُ مشُورَتهم، والذي لا يَصْدُرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد: ثِمَالُهم[3]، وصاحبُ رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأَيْهَمُ، وأبو حارثة بن علقمة أحدُ بني بكر بن وائل: أُسْقُفُهُمْ[4]، وَحُبْرُهُمْ، وَإمامهم، وصاحب مِدْراسهم، وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم ودَرَسَ كتبهم حتى حَسُنَ علمه في دينهم، فكانَتْ ملوكُ الروم من أهل النصرانية قد شَرَّفُوهُ ومَوَّلُوه، وأَخْدَمُوهُ، وَبَنَوا له الكنائِسَ، وبَسَطُوا عليه الكراماتِ، لِمَا يبلغهم عنه مِنْ علمه واجتهاده في دينهم، فلما وَجَّهُوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ مِنْ نَجْرَانَ جَلَسَ أبو حارثة على بَغْلَةٍ له موجِّهاً إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وإلى جانبه أَخٌ له يقال له: كُرز بن عَلْقَمَةَ.

قال ابن هشام: ويقال: كُوز.

= ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٩٤) رقم (٦٥٣) وأصل الحديث رواه البخاري (٦/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس الحديث (٣٢٧٦).
عن ابن شهاب قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ـ ﷺ ـ يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».
ورواه مسلم (١/ ٤٣١) كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان الحديث (١٣٤) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله» ورواه أبو داود (٤/ ٢٣١) كتاب السنة، باب في الجهمية الحديث (٤٧٢١) بلفظ مسلم.

---

(١) الغَرِيَّان صَنَمان، كانا يُغَرَّيان بالدم الَّذي يُتَقَرَّب به عندهما.
(٢) الناعِي: الَّذي يأتي بخَبَر المَيِّت. وينظر: البيت في اللسان (صمد)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٧)، الدر المصون (٦/ ٥٨٩).
(٣) ثِمالُ القوم: هو أصْلُهم الذي يرجعون إليه ويقوم بأمورهم وشئونهم.
(٤) الأُسْقُف: هو عظيمُ النصارَى يقال بتشديد الفاء وتخفيفها، وقد تقدم.

فَعَثَرَتْ بَغْلَةُ أَبي حارثة، فقال كُوزٌ: تَعِسَ الأبعد! يريد رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقال له أبو حارثة: بل أَنْتَ تَعِسْتَ، فقال: ولم يا أخي؟! قال: واللَّهِ إنه لَلنَّبِيُّ الذي كنا ننتظرُ، فقال له كُوزٌ: وما يمنعُكَ منه وأَنْتَ تعلم هذا؟! قال: ما صَنَعَ بنا هَؤُلاَءِ القومُ؛ شَرَّفونا ومَوَّلُونا وأَكْرَمُونا وقد أَبَوْا إلاَّ خِلاَفَهُ، فلو فعلتُ نَزَعُوا منَّا كُلَّ ما تَرَىٰ، فأضمر عليها منه أخوه كُوزُ بْنُ عَلْقَمَةَ حتَّىٰ أسلم بعد ذلك، فهو كان يُحَدِّثُ عنه هذا الحديث، فيما بلغني/ (١١٨/ب) [٤٦٠].

ذكر النبي في كتب يتوارثها نصارى نجران

قال ابن هشام: وبلغني أن رؤساء نَجْرَانَ كانوا يتوارثُونَ كُتُباً عندهم، فكلَّما مات رئيسٌ منهم، فَأَفْضَتِ الرياسةُ إلى غيره، خَتَمَ على تلك الكتبِ خاتماً من الخواتم التي كانَتْ قبله، ولم يكسَرْها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبيِّ ـ ﷺ ـ يَمْشِي فَعَثَرَ، فقال ابنه: تَعِسَ الأبعد، يريد النبيَّ ـ ﷺ ـ، فقال له أبوه: لا تَفعلْ؛ فإنه نبيٌّ، واسمه في الوضائع (يعني: الكُتُبَ) فلما مات لم تَكُنْ لابنه هِمَّةٌ إلاَّ أنْ شَدَّ، فكسر الخواتم، فوجَدَ فيها ذكر النبيِّ ـ ﷺ ـ فأسلم، فَحَسُنَ إسلامه وحَجَّ، وهو الذي يقول [من الرجز]:

إِلَيْكَ تَغْدُو قَلِقاً وَضِينُهَا[1] مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخَالِفاً دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

قال ابن هشام: وقال هشام بن عروة، وزَادَ فيه أهل العراق [من الرجز]:

مُعْتَرِضاً فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

فأما أبو عُبَيْدَة فأنشدناه فيه.

قال ابن هشام: الْوَضِينُ: حزام الناقة.

وفد نجران يصلون في مسجد رسول الله إلى المشرق

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْرِ، قال: لما قَدِمُوا على رسول الله

---

[٤٦٠] أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٤١٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٦٦) لابن أبي حاتم وذكره ابن كثير في تفسير (١/ ٣٦٨).
وذكره صاحب الهدى والرشاد (٦/ ٤١٦).

---

(١) الوَضين: حِزامٌ منسوجٌ يُشَدُّ به الهَوْدَج على ظَهْر البَعير.
وينظر: لسان العرب ٢٠/ ٣٢٣ (قلق)، ١٣/ ٥٤٠ (ودن)، ٤٥١ (وضن)، وتاج العروس (قلق)، (وضن).

ـ ﷺ ـ المدينة، فدخلوا عليه في مَسْجِده حين صلى العصر عليهم ثيابُ الحَبَراتِ[1]: جُبَبٌ وأرديَةٌ في جمال رجالِ بني الحرث بن كعب، قال: يقولُ بَعْضُ من رآهم من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ يومئذ: ما رأينا وَفْداً مِثْلَهُمْ، وقد حانَتْ صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ يُصَلُّونَ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دَعُوهُم» فصلَّوْا إلى المشرق [٤٦١].

قال ابن إسحاق: وكان تسميَةُ الأربعةَ عَشَرَ الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو: عبد المسيح، والسَّيِّد، وهو: الأيهم، وأبو حارثة بن عَلْقَمَة أخو بني بَكْرِ بن وائل، وأَوْسٌ، والحارِثُ، وزَيْدٌ، وقَيْسٌ، ويَزِيدٌ، ونُبَيْهٌ، وخُوَيْلِدٌ، وعَمْرٌو، وخَالِدٌ، وعَبْدُ اللَّهِ، ويُحَنَّسُ، في ستين راكباً، فكلَّم رسولَ الله ـ ﷺ ـ [منهم] أبو حارثة بن عَلْقَمَة، والعاقِبُ عبد المسيح، والأيهم السَّيِّد، وهم من النصرانية على دِينِ المَلِكِ مع اختلاف مِنْ أمرهم، يقولون: هُوَ اللَّهُ، ويقولون: هُوَ وَلَدُ الله، ويقولون: هو ثَالِثُ ثلاثةٍ، وكذلك قولُ النصرانية؛ فهم يحتجُّونَ في قولهم: «هُوَ الله» بأنه كان يُحْيي الموتى، ويبرئُ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويَخْلُقُ من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكونُ طائراً، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى، ولِيَجْعَلَهُ آيَةً للناس، ويحتجُّونَ في قولهم: «إِنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ» بأنهم يقولون: لم يَكُنْ له أبٌ يُعْلَمُ، وقد تكلَّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله، ويحتجون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقَضَيْنَا، فيقولون: لو كان واحداً ما قَالَ إلا فَعَلْتُ، وقَضَيْتُ، وأَمَرْتُ، وخَلَقْتُ، ولكنه هو وعيسَىٰ ومريم، ففي كلِّ ذلك مِنْ قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الْحَبَرانِ قَالَ لهما رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَسْلِمَا» قالا: قَدْ أَسْلَمْنَا، قال: إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا» قالا: بَلَىٰ قَدْ أسلمنا قبلك، قال: «كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الإِسْلاَمِ: دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَداً، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ، وَأَكْلُكُمَا (١١٩/١/أ) الْخِنْزِيرَ». قالا: فمن أبوه يا محمد؟! فَصَمَتَ عنهما رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يجبْهُمَا،

نزول صدر سورة آل عمران وتفسير غريبه

فأنزل الله تعالى في ذلك مِنْ قولهم واختلافِ أمرهم كلِّه صَدْرَ سورة آل عمران إلىٰ

---

[٤٦١] أخرجه ابن جرير (٣/٢٩٨) رقم (٧١٧٧) والبيهقي في الدلائل (٥/٣٨٢) كلاهما عن ابن إسحاق وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر.
وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٣٦٨) نقلاً عن ابن إسحاق.

---

(١) الحَبراتِ: هي جَمْعُ حَبَرَةٍ، وهي بُرودٌ من بُرود اليَمَن.

بضعٍ وثمانين آية منها، فقال جلَّ وعزَّ (٣: . . .): ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ فافتتح السورة بتنزيه نفسِهِ عما قالوا، وتوحيدِهِ إياه بالخلقِ والأمرِ لا شَرِيكَ له فيه؛ رَدًّا عليهم ما ابتدعوا مِنَ الكُفْرِ وجعلوا معه من الأندادِ، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صَاحِبِهِمْ، ليعرِّفَهُمْ بذلك ضَلالَتَهُمْ، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيره شريكٌ في أمره، ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ الحَيُّ: الذي لا يَمُوتُ، وقد مات عيسَىٰ، وصُلِبَ في قولهم، وَالْقَيُّومُ: القائمُ علىٰ مكانه مِنْ سلطانه في خلقه لا يَزُولُ، وقد زال عيسَىٰ في قولهم عن مكانه الذي كان بِهِ وذَهَبَ عنه إلى غيره، ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: [بالصِّدْقِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ]، فيما اختلفوا فيه، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ التوراةَ على موسى، والإنجيلَ على عيسى؛ كما نزل الكتب على مَنْ كان قبله، ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ أي: الفَصْلَ بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزابُ مِنْ أَمر عيسى وغيره، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي: إن الله منتقم مِمَّنْ كَفَرَ بآياتِ الله بعد علمه بها ومَعْرفته بما جاء منه فيها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ أَيْ: قَدْ عَلِمَ ما يريدون وما يكيدون وما يُضَاهُونَ بقولهم في عيسَى؛ إذ جعلوه إلٰهاً وَرَبًّا وعندهم مِنْ علمهم غَيْرُ ذلك غِرَّةً بالله وكُفْراً به، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ أي: قد كان عيسَىٰ ممن صُوِّر في الأرحامِ لا يَدْفَعُونَ ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ كما صُوِّرَ غيره من ولد آدَمَ، فكيف يكون إلٰهاً وقد كَانَ بذلك المنزل؟! ثم قال تعالى: إنزَاهاً لنفسه وتوحيداً لها مما جعلوا معه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العزيز في انتصارِهِ ممَّنْ كَفَرَ به إذا شاء، الحَكِيمُ في حُجَّتِهِ وعُذْرِهِ إلى عباده، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فيهن: حُجَّةُ الرب، وعِصْمَةُ العباد، ودَفْعُ الخصوم والباطل، ليس لهن تصريفٌ ولا تحريفٌ عما وُضِعْنَ عليه، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ لهن تصريفٌ وتأويلٌ، ابْتَلَى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام أَلاَّ يُصْرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي: مَيْلٌ عن الهدَى، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي: ما تصرَّف منه ليُصَدِّقُوا به ما ابتدعوا وأحدَثُوا لتكونَ لهم حُجَّة، ولهم على ما قالوا شبهة؛ ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: اللَّبْسِ، ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ ذلك علىٰ ما ركبوا من الضلالة في قولهم: خَلَقْنَا، وقَضَيْنَا، يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ الذي به أرادوا ما أَرَادُوا ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ فكَيْفَ يختلفُ فيه، وهو قَوْلٌ واحدٌ من ربٍّ واحدٍ ثم رَدّوا تأويلَ المتشابه علىٰ ما عرفوا مِنْ تأويل المحكمة التي لا تأويلَ لأحَدٍ فيها إلا تأويلٌ واحدٌ، فاتَّسَقَ بقولهم الكتابُ وصَدَّقَ بعضُه بعضاً، فَنَفَذَتْ به الحجَّةُ، وظهر به العُذْر، وزاح به الباطل، ودُمِغَ به الكُفْر؛ يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ رَبَّنَا

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تُمِلْ قلوبَنَا وإن مِلْنَا بإحداثنا، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾/ (١١٩/ب) ﴿ثم قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعَدْل [فيما يريد]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي: ما أنت عليه يا محمد: التوحيدُ للرَّبِّ، والتصديقُ للرسُل، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الذي جاءَكَ، أَيْ: أن اللَّهَ الواحدُ الذي لَيْسَ له شريكٌ، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: بما يَأْتُونَ به من الباطل: من قولهم: خَلَقْنَا، وفَعَلْنَا، وأمَرْنَا، فإنما هي شبهةُ باطلٍ قد عرفوا ما فيها من الحقِّ، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي: وحده، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتابَ لهم، ﴿أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، ثم جمع أهلَ الكتابَيْن جميعاً، وذَكَرَ ما أَحْدَثُوا، وما ابتدعوا، من اليهود والنصارىٰ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أي: رَبَّ العباد والمُلْكِ الذي لا يَفْضِي فيهم غيره، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي: لا إلى غيرك، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يَقْدِرُ على هذا غَيْرُكَ بسلطانك وقدرتك، ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بتلك القدرة، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يقدر على ذلك غَيْرُكَ، ولا يصنعه إلاَّ أَنْتَ، أي: فَإِنْ كُنْتَ سَلَّطْتَ عيسى على الأشياءِ التي بها يزعمون أنه إلٰه: مِنْ إحياء الموتَىٰ، وإبراء الأسقام، والخَلْق للطير من الطين، والإخبارِ عن الغيوبِ؛ لأَجْعَلَهُ به آيةً للناس وتَصْديقاً له في نبوَّته التي بعثتُه بها إلى قومه؛ فإنَّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه: تمليكُ الملوك، وأمْرُ النبوة ووضْعُهَا حيثُ شئتُ، وإيلاجُ الليل في النهار والنهارِ في الليل، وإخراجُ الحيِّ من الميت، وإخراجُ الميتِ من الحيِّ، ورزقُ مَنْ شئت من برٍّ أو فاجر بغير حساب؛ فكلُّ ذلك لم أسلطْ عيسَىٰ عليه، ولم أُمَلِّكْهُ إياه؛ أفلم تَكُنْ لهم في ذلك عبرةٌ وبينةٌ أن لو كان إلهاً كان ذلك كله إليه؟! وهو في علمهم يَهْرُبُ من الملوك، وينتقل منهم في البلاد من بلد إلى بلد.

ثم وَعَظَ المؤمنين وحَذَّرَهُمْ، ثم قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: إن كانَ هَذَا مِنْ قولكم حقًّا حُبًّا لله وتعظيماً له، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: ما مَضَى من كفركم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن﴾ فأنتم تعرفونه وتَجِدُونه في كتابكم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

ثم استقبل لهم أَمْرَ عيسَىٰ وكَيْفَ كان بُدُوُّ ما أراد الله به، فقال: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ

وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ، ثم ذكر أمر امرأة عمران في قولها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أي: نذرته فجعلتُهُ عتيقاً تَعبُدُهُ الله لا ينتفعُ به لشيْءٍ من الدنيا، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾/ (١٢٠/أ) أي: ليس الذكَرُ كالأنثى لما جعلتها محرَّراً له نذيرةً، ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأمها.

قال ابن إسحاق: فذكرها باليُتْم.

قال ابن هشام: كَفَّلَهَا: ضَمَّها.

قال ابن إسحاق: ثم قَصَّ خبرها وخبرَ زكريَّا، وما دعا به، وما أعْطَاهُ إذ وَهَبَ له يحيَىٰ، ثم ذَكَرَ مريَمَ وقولَ الملائكَةِ لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: ما كنتَ معهم؛ ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ﴾.

قال ابن هشام: أقلامَهُمْ: سِهَامَهُمْ، يعني: قداحهم التي استَهَمُوا [بها] عليها، فخرج قِدْحُ زكريا فَضَمَّهَا فيما قال الحَسَنُ بن أبي الحسن البصري.

قال ابن إسحاق: كَفَّلها ههنا جُرَيْجٌ الرَّاهِبُ رجلٌ من بني إسرائيل نَجَّارٌ خَرَجَ السَّهْمُ عليه بِحَمْلِهَا فحملها، وكان زكريَّا قد كفلَّها قبل ذلك؛ فأصابَتْ بني إسرائيل أَزْمَةٌ شديدةٌ؛ فعَجَزَ زكريا عن حَمْلها، فاسْتَهَمُوا عليها أيُّهُم يكفلها، فَخَرجَ السهم على جُرَيْجٍ الراهبِ بكفولها فكفلها.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: ما كنْتَ معهم إذ يختصمون فيها، يخبره بخفيِّ ما كتموا منه مِنَ الْعِلْمِ عندهم لتحقيق نبوته، والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أَخْفَوْا منه، ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه، ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: عند الله، ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يخبرهم بحالته الَّتي يتقلَّب فيها في عمره كتقلُّب بني آدم في أعمارهم صغاراً وكباراً، إلاَّ أن الله خَصَّهُ بالكَلاَمِ في مهده؛ آيةً لنبوَّته وتعريفاً للعباد بمواقِعِ قدرته، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ أي: يصنَعُ ما أراد ويخلُقُ ما يشاء من بشرٍ أو غيرِ بشرٍ، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ مما يشاءُ وكَيْفَ شاءَ فيكونُ كما أراد، ثم أخبرها بما يريد به؛ فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ التي كانَتْ فيهم من عهد موسَىٰ قبله، ﴿وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ كتاباً آخَرَاً أحدثه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إليه لم يَكُنْ عندهم إلا ذِكْرُهُ أنه كائنٌ من الأنبياء بعده، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: يحقِّقُ بها نبوتي أَنِّي رسولٌ منه إليكم، ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الذي بعثني إِلَيْكُمْ وهو ربِّي وربُّكُمْ، ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾.

قال ابن هشام؛ والأَكْمَهُ: الذي يولد أعمى؛ قال رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

* هَـزَّجْـتُ فَـٱزْتَـدَّ ٱرْتِـدَادَ الْأَكْـمَـهِ *[1]

قال ابن هشام: هَزَّجْتُ: صِحْتُ بالأسدِ وجَلَبْتُ عليه، وهذا البيت في أرجوزة له، وجمعه: كُمْهٌ.

أَنِّي رسولٌ من «﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ ﴾ الله إليكم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ أي: لما سَبَقَني منها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أخبركم به أنه كان عليكم حراماً، فتركتموه، ثم أحلَّه لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبُونَ يُسْرَهُ وتخرجون من تباعاته، ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: تَبَرِّياً من الذي يقولون فيه، واحتجاجاً لربِّه عليهم، ﴿فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: هذا الذي/ (١٢٠/ب) قد حَمَلْتُكُمْ عليه وجئتكم به، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ والعدوانَ عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفَضْلَ من ربِّهم، ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا ما يقولُ هؤلاءِ الذين يحاجُّونك فيه، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: هكذا كان قولُهُمْ وإيمانُهُمْ.

ثم ذكر رفعه عيسَى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ثم أخبرهم وردَّ عليهم فميا أقرُّوا لليهودِ بصَلْبه كيف رَفَعه وطهَّره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إذ هَمُّوا منك بما هَمُّوا، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ثم القصَّة حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ القاطِعِ الفاصلِ الحقَّ

---

(١) هَزَّجت: من رواه بالزاي، فمعناه: زجرت ومَن رواه هَرَّجْت بالراء مُشَدَّدة، فمعناه: حَرَّكت، والأَكَمَةُ: قد فَسَّرهُ ابن هشام. وينظر: ديوانه ص ١٦٦؛ ولسان العرب ٢/ ٣٩٠ (هرج)، ١٣/ ٤٨٢ (تهته)، ١٣/ ٥٣٦ (كمه)؛ تاج العروس ٦/ ٢٧٦ (هرج)، (تهته)؛ وتهذيب اللغة ٥/ ٣٥٩، ٦/ ٤٨؛ وجمهرة اللغة ص ٩٤، ١٨٥؛ وبلا نسبة في لسان العرب ١٣/ ٤٨٦ (جهجه)؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٢٩؛ وجمهرة اللغة ص ٤٦٩، ٩٨٤؛ وتاج العروس (جهجه).

الذي لا يخالطه الباطلِ من الخبر عن عيسَىٰ، وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تَقْبَلَنَّ خبراً غيره، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فاستمعْ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ما جَاءكَ من الخبر عن عيسى، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أيْ: قد جاءك الحَقُّ من ربُك فلا تَمْتَرِيَنَّ فيه، وإنْ قالوا: خلق عِيسَى من غير ذِكْرٍ، فقد خلقْتُ آدم من ترابٍ بتلك القدرة من غير أنثَىٰ ولا ذَكَرٍ؛ فكان كما كان عيسى لحماً ودماً وشَعْراً وبَشَراً؛ فليس خلق عيسى من غير ذَكَرٍ بأعجبَ من هذا، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: مِنْ بعد ما قَصَصْتُ عليك من خبره وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

قال ابن هشام: قال أبو عُبَيْدَةَ: نبتهلْ: نَدْعو باللعنة؛ قال أعشى بني قَيْس بن ثَعْلَبَة [من البسيط]:

لاَ تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكْلَتَهَا حَطَباً ... تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْماً وَتَبْتَهِلُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

نبتهل: نتضرَّع؛ يقول: تدعو باللعنة، وتقولُ العرب: بَهَلَ اللَّهُ فُلاَناً، أي: لعنه الله، وعليه بَهْلَةُ الله، أي: لعنة الله.

قال ابن هشام: ويقال: بُهْلَةُ اللَّهِ، أي: لعنة الله، ونبتهل أيضاً: نجتهد في الدعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي جئْتُ به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ من أمره، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فدعاهم إلى النَّصَفِ، وَقَطَعَ عنهم الْحُجَّةَ.

فلما أَتىٰ رسولَ الله ـ ﷺ ـ الخَبَرُ من الله عزَّ وجلَّ ـ عنه والفَصْلُ مِنَ القضاء بينه وبينهم، وأُمِرَ بما أمر به مِنْ مُلاَعَنَتِهِمْ إن رَدُّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك، فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنَا نَنْظُرْ في أمرنا ثم نأتيكَ بِمَا نريدُ أن نَفْعَلَ فيما دَعَوتَنَا إليه، فانصرَفُوا عنه، ثم خَلَوْا بالعَاقِبِ ـ وكان ذا رأيهم ـ فقالوا: يا عَبْدَ المسيح، ماذا ترى؟ فقال: واللَّهِ يا معشَرَ النصارَى، لقد عرفتُمْ إنَّ محمداً لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولقد جاءكم بالفَصْلِ مِنْ خبر صاحبكم، ولقد علمتم مَا لاعَنَ قَوْمٌ نبيًّا قطُّ فَبَقِيَ كبيرُهُمْ ولا نَبَتَ صغيرُهُمْ، وإنه

---

(١) ينظر: ديوانه ص (١٣٤).

للاستئصَالُ منكم إِنْ فعلتم، فإِنْ كنتم قد أبيتُمْ إلا إِلْفَ دينكم والإِقامَةَ على ما أنتم عليه مِنَ القول في صاحبكم، فوَادِعُوا الرجلَ، ثم انصرِفُوا إلى بلادكم، فَأَتَوْا رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رَأَيْنَا أَلاَّ نلاعنَكَ، وأن نتركَكَ على دينك، ونرجعَ عَلَىٰ ديننا، ولكن ٱبْعَثْ/ (١٢١/ أ) معنا رجلاً من أصحابك ترضَاهُ لنا يحكُمُ بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاً، قال محمد ابن جعفر: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ٱئْتُونِي الْعَشِيَّةَ أَبْعَثْ مَعَكُمُ الْقَوِيَّ الأَمِينَ» قال: فكان عُمَر بن الخطاب يَقُولُ: ما أَحْبَبْتُ الإِمارَةَ قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يومئذٍ، رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ صاحبها، فَرُحْتُ إلى الظُّهْرِ مُهَجِّراً، فلَّما صلَّىٰ بنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ الظهرَ سَلَّمَ ثُم نظر عَنْ يمينه ويساره، فجعلتُ أَتَطَاوَلُ له ليراني، فلم يزلْ يَلْتمِسُ بِبَصَرِهِ حتى رأَىٰ أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فدعاه، فقال: «ٱخْرُجْ مَعَهُمْ فَٱقْضِ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ فيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ» قال عمر: فَذَهَبَ بها أبو عبيدة [٤٦٢].

بعض أخبار المنافقين

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة ـ كما حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ـ وسيدُ أهلها عبدُ الله بْنُ أبيٍّ ٱبْنُ سلولَ الْعَوْفِيُّ، ثم أحدُ بني الْحُبْلَىٰ، لا يختلفُ عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوسُ والخزرجُ قبله ولا بعده علىٰ رجلٍ من أحد الفريقَيْنِ حتَّى جاء الإسلامُ، غَيْرَهُ، ومَعَهُ في الأوسِ رجلٌ هو في قومه من الأوس شريفٌ مُطَاعٌ: أبو عامر عبدُ عَمْرِو بْنُ صَيْفِيِّ بن النُّعْمَانِ أحدُ بني ضُبَيْعَةَ بن زيدٍ، وهو أبو حَنْظَلَةَ الغَسِيلُ يوم أحد، وكان قَدْ تَرَهَّبَ في الجاهِلِيَّةِ، وَلَبِسَ الْمُسُوحَ، وكان يقال له: الراهبُ، فشَقِيَا بشرفهما وضَرَّهما.

حال عبد الله بن أبي ابن سلول

قال: فأما عبد الله بن أبيٍّ فكان قومُهُ قد نظموا له الْخَرَزَ ليتوِّجُوهُ ثم يُمَلِّكُوهُ عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ـ ﷺ ـ وهم على ذلك، فلما انصرَفَ قومه عنه إلى الإسلام،

---

[٤٦٢] أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٧) كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران الحديث (٤٣٨٠).
ومسلم (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي عبيدة الحديث (٢٤٢٠).
والترمذي (٥/ ٦٦٧) كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة الحديث (٣٧٩٦). وابن ماجه (١/ ٤٨) المقدمة، باب فضل أبي عبيدة الحديث (١٣٥) وأحمد في المسند (٥/ ٣٩٨، ٤٠٠)، والطحاوي في المشكل (٣/ ٢٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٩٢)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٤١٢).
كلهم من حديث حذيفة.

ضَغِنَ[1] ورأَىٰ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد استلَبَهُ مُلْكاً، فلما أن رأَىٰ قومه قَدْ أَبَوْا إلا الإِسلامَ دَخَلَ فيه كارهاً مُصِرًّا على نفاقٍ وضِغْنٍ.

حال أبي عامر بن صيفي

وأما أبو عامرٍ فأَبىٰ إلا الكفرَ والفِرَاقَ لقومه، حين اجتمعوا على الإِسلام، فخرج منهم إلى مكَّة ببضعَةَ عَشَرَ رجلاً مفارقاً للإِسلام ولرسول الله ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ كما حدَّثني محمد بن أبي أمامة، عن بعضِ آلِ حنظلة بن أبي عامر ـ: «لا تَقُولُوا الرَّاهِبُ، وَلٰكِنْ قُولُوا الْفَاسِقُ» [٤٦٣].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحَكَم، وكان قد أدرك وسَمِعَ، وكان رَاوِيَةً، أن أبا عامرٍ أتَىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ حِينَ قَدِمَ المدينة ـ قبل أن يخرج إلى مكَّة، فقال: ما هذا الدينُ الذي جئتَ به؟ فقال: «جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ» قَالَ: فأنا عليها، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا» قَالَ: بَلَىٰ، إِنَّكَ أَدْخَلْتَ يا مُحَمَّدُ في الْحَنِيفِيَّةِ ما لَيْسَ منها، قال: «مَا فَعَلْتُ وَلٰكِنِّي جِئْتُ بها بَيْضَاءَ نَقِيَّةً» قال: الكَاذِبُ أماتَهُ الله طريداً غريباً وحيداً؛ يُعَرِّضُ برسول الله ـ ﷺ ـ أي: إنك ما جئتَ بها كذلك، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَجَلْ، فَمَنْ كَذَبَ فَفَعَلَ اللَّهُ تعالى ذَلِكَ بِهِ».

فكان هو ذلك عَدُوَّ الله: خرج إلى مكَّة، فلما افتتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكَّة خرج إلى الطائف، فلما أسلَمَ أَهْلُ الطائف لَحِقَ بالشأم، فمات بها طريداً غريباً وحيداً.

وكان قد خَرَجَ معه عَلْقَمَةَ بن عُلاثَةَ بن عَوْف بن الأحْوَص بن جَعْفَر بن كِلاَب، وكِنانَةُ بن عبدَ يَالِيلَ بن عَمْرو بن عُمَيْرٍ الثَّقَفِيّ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قَيْصَرَ صاحب الروم، فقال قَيْصَرُ: يَرِثُ أَهْلُ المَدَرِ[2] (١٢١/ب) أَهْلَ المَدَرِ، ويرثُ أهلُ الوبر[3] أهلَ الوبر، فَوَرِثَهُ كنانةُ بن عبد يَالِيل بالمدر، دون علقمة، فقال كَعْبُ بن مالك لأبي عامر فيما صنع [من الوافر]:

مُعَاذَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيثٍ كَسَعْيِكَ فِي الْعَشِيرَةِ عَبْدَ عَمْرِو

---

[٤٦٣] هذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ ابن أبي أمامة؛ وابن أبي أمامة هو محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ثقة كما قال الحافظ في التقريب (٢/١٤٦) واسم أبي أمامة سعد وقيل أسعد.

---

(١) ضَغَن، معناه: اعتقد العداوة.

(٢) أهل المَدَر: هم أهل الحاضرة.

(٣) أهل الوبر: هم أهل البادية.

فَـإِمَّـا قُـلْـتَ: لِـي شَـرَفٌ وَنَـخْـلٌ فَـقِـدْمـاً بِـعْـتَ إِيـمَـانـاً بِـكُـفْـرِ

قال ابن هشام: ويروَىٰ [من الوافر]:

فَـإِمَّـا قُـلْـتَ: لِـي شَـرَفٌ وَمَـالٌ ....

قال ابن إسحاق: وأما عبد الله بن أبي فأقام على شَرَفِهِ في قومه مُتَرَدِّداً حتى غلبه الإسلامُ، فدخل فيه كارهاً [٤٦٤].

مرور رسول الله على ابن أبي وما دار بينهما

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِيُّ، عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة حِبِّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: رَكِبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى سَعْد بن عُبَادَةَ يعوده من شَكْوٍ أصابه، على حِمَارٍ عليه إِكَافٌ[١] فوقه قطيفة[٢] فَدَكِيَّة[٣] مُخْتَطِمَة[٤] بحبل من لِيفٍ[٥]، وأردفني رسولُ الله ـ ﷺ ـ خلفه، قال: فَمَرَّ بعدو الله ابن أبي وهو في ظِلِّ «مُزَاحِمٍ» أُطُمِهِ[٦].

قال ابن هشام: مُزَاحِمٌ: اسمٌ لأطمه.

قال ابن إسحاق: وحَوْلَهُ رجال من قومه، فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ تَذَمَّم[٧] مِنْ أن يجاوزه حتى ينزل، فَنَزَلَ، فسلَّم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ

---

[٤٦٤] أخرجه أبو نعيم في دلائله (١/ ٨٠ ـ ٨١) رقم (٤١) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر.
وروى أحمد (١/ ٢٣٦) والطبراني في الكبير (١١/ ٢٢٧) رقم (١١٥٧١، ١١٥٧٢).
والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٨٣).
كلهم من طريق ابن إسحاق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: سئل النبي ـ ﷺ ـ أي الأديان أحب إلى الله عز وجل: قال الحنيفية السمحة».
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٠):
«رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع».

---

(١) الإكاف: البرذَعة بأداتها، ويقال: الوكاف بالواو.
(٢) القَطِيفةُ: الشَّمْلَةُ.
(٣) فَدَكِيَّةٌ، أي: مَنْسوبة إلى فَدَك، وهو موضِعٌ.
(٤) الاخْتِطام: أنْ يُجْعَل على رأس الدابّة وأنفها حَبْلٌ يُمْسَك به.
(٥) اللِّيف: ليفُ النَّخل وهو ما يَلْتَفُ على الجريد.
(٦) الأُطُمُ: الحِصْنُ.
(٧) تَذَمَّمَ، أي: خرج مِنَ الذَّمِّ كما يُقال: تَحَنَّثَ وتَأَثَّم: إذا خرج من الحِنْثِ والإثم.

وذكّر بالله، وحذّر وبشّر وأنذر، قال: وهو زَامٌّ[1] لا يتكلّم، حتى إذا فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من مقالته قال: يا هذا، إنه لا أَحْسَنَ مِنْ حديثك هذا: إن كان حقًّا فاجلس في بيتك فَمَنْ جاءك له فحدّثه إياه، ومَنْ لم يَأْتِكَ فلا تَغُثَّه[2] به ولا تأته في مجلسه بما يَكْرَهُ منه، قال: فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ في رجالٍ كانوا عنده من المسلمين: بَلَىٰ، فَاغْشَنَا به، وائْتِنَا به في مجالسنا ودُورِنَا وبيوتنا، فهو واللَّهِ ممَّا نُحِبُّ، ومما أَكْرَمَنَا اللَّهُ به وهدانا له، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ حين رأَى مِنْ خلاف قومه ما رأَى [من الطويل]:

مَتَىٰ مَا يَكُنْ مَوْلاَكَ خَصْمَكَ لاَ تَزَلْ ... تَذِلُّ وَيَصْرَعْكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ؟ ... وَإِن جُذَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني الزهريُّ، عن عروة بن الزبير، عن أسامة [ابن زيد]، قال: وقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَدَخَلَ علىٰ سَعْد بن عُبَادَةَ وفي وجهه ما قال عَدُوُّ الله ابْنَ أُبَيٍّ، فقال: والله يا رسول الله، إني لأَرَىٰ في وجهك شيئاً لكأنَّكَ سمعتَ شيئاً تكرهه، فقال: «أَجَلْ» ثم أخبره بما قال ابنُ أبي، فقال سعد: يا رَسُولَ الله ارْفُقْ به، فوالله لقد جاءنا اللَّهُ بك وإنَّا لَنَنْظِمُ له الْخَرَزَ لنتوّجَهُ، وإنه ليرى أن قَدْ سَلَبْتَه مُلْكاً [٤٦٥].

ذِكْرُ مَنِ اعْتَلَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ

مرض أبي بكر وعامر بن فهيرة وبلال

قال ابن إسحاق: وحدَّثني هشام بن عُرْوة، وعمرو[3] بن عبد الله بن عُرْوَةَ، عن

---

[٤٦٥] أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٣)

والبخاري (١١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) كتاب المرضى، باب عيادة المريض الحديث (٥٦٦٣) ورواه برقم (٦٢٠٧) ومسلم (٦/ ٣٩٨) كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ـ ﷺ ـ وصبره على أذى المنافقين الحديث (١٧٩٨)، وعبد الرزاق (٥/ ٤٩٠) رقم (٩٧٨٤) والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) رقم (٣٢٠٨) كلهم من غير طريق ابن إسحاق ودون ما قال ابن أبي من الشعر.

---

(١) زَامٌّ: ساكت، وهو بالزاي.

(٢) فلا تَغُثَّهُ معناه: لا تُكثر، يقال: غَثَّ الرجلُ القولَ وغَثَّ الرجلُ الشرابَ الشرابَ: إذا أَتْبَع بعضه بعضاً، وقد يكون معناه: لا تُعَذِّبْه به، يُقال: غَثَّهم الله بِعَذابٍ أي: غَطَّاهم به، ويُرْوى: فلا تُغِثْه به، أي: لا تأته به.

(٣) وحدَّثني هشام بن عُروة وعمرو بن عبد الله بن عُروة عن عُروة: كذا رُوي هنا، ورُوي أيضاً وعُمر بن عبد الله بن عُروة وهو الصواب، وكذلك أصْلَحه البُخارِيُّ في التاريخ.

عروة بن الزُّبَيْرِ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالَتْ: لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينَةَ قَدِمَها وهي أَوْبَأُ أرضِ الله من الْحُمَّى؛ فأصاب أصحابَهُ منها بَلاءٌ وسَقَمٌ، وصَرَفَ اللَّهُ تَعَالىٰ ذلك عن نبيه ـ ﷺ ـ قالت: فكان أبو بَكْر وعامر بن فُهَيْرَةَ وبلالٌ مَوْلَيَا أبي بكر مع أبي بكر في بَيْتٍ واحدٍ، فأصابتهم الحُمَّىٰ، فدخلتُ عليهم أُعودُهُمْ، وذلك قبل أن يُضْرَبَ علينا الحِجابُ/ (١٢٢/أ)، وبهم ما لا يعلمه إلا اللَّهُ مِنْ شدَّةِ الوَعْكِ[١]، فَدَنَوْتُ من أبي بَكْرٍ، فقلت له: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَتِ؟ فقال [من الرجز]:

كُلُّ امْرِىءٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... والْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[٢]

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، قالَتْ: ثم دَنَوْتُ إلى عامر بن فُهَيْرة، فقلت له: كَيْفَ تَجِدُكَ يا عامر؟ فقال [من الرجز]:

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ ... إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ امْرِىءٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ ... كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ[٣]

تريد: طاقته فيما قال ابن هشام.

قالت: فقلتُ: واللَّهِ ما يدري عامرٌ ما يقول، قالَتْ: وكان بلالٌ إذا تركته الحُمَّى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته[٤]، فقال [من الطويل]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟[٥]
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟ ... وهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟[٦]

قال ابن هشام: شَامَةٌ وطَفِيلٌ: جَبَلاَنِ بمكة.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فذكَرْتُ لرسول الله ـ ﷺ ـ ما سمعْتُ منهم، فقلتُ: إنهم لَيَهْذُونَ وما يَعقِلُونَ من شدة الحمى، قالت: فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ

---

(١) الوَعْكُ: شِدَّةُ أَلَم المَرَضِ، يقال: وعَكَتْهُ الحُمَّى: إذا بالَغَتْ.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٠).

(٣) الطَّوْق هنا: الطاقة والقُوَّة. والرَّوْق: القَرْن. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٧٠).

(٤) ثم رَفَعَ عقيرَتَه، يعني: صَوْته.

(٥) فخٌ هنا: موضع رُوِي هنا بالخاء المعجمة وبالجيم. وقال أبو حَنيفة اللُّغَويُّ: فَخٌّ بالخاء المعجمة موضعٌ خارجَ مكَّة فيه مُوَيْهٌ، والإذْخِرُ: نباتٌ طَيِّبُ الرَّائحةِ، والجَليل هنا: هو الثُّمام، وهو نباتٌ له خوص والخُوصُ: وَرَقُ الدَّوم، ومِجَنَّةُ: مَوْضِعٌ.
ويروى عجز البيت هكذا:

بِوَادٍ وحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ ... .

ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٦٩).

(٦) مَجَنَّةُ: موضع، وشَامَةٌ وطفيل، قال ابنُ هشام: هما جَبَلان.

إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وبَارِكْ لَنَا في مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةَ» ومهيعةُ: الْجُحْفَةُ [٤٦٦].

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهريُّ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما قَدِمَ المدينة هو وأصحابه أصابَتْهُمْ حُمَّى المدينةِ حتَّى جُهِدُوا مَرَضاً، وصَرَفَ الله تعالى ذلك عن نبيه ـ ﷺ ـ حتى كانوا ما يُصَلُّونَ إلا وهم قُعُود.

قال: فَخَرَجَ عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ وهم يُصَلّونَ كذلك، فقال لهم: «اعْلَمُوا أَنَّ صَلاَةَ الْقَاعِدِ عَلَى النِّصْف مِنْ صَلاَةِ الْقَائِمِ». قال: فَتَجَشَّم[1] المسلمون القيام على ما بهم من الضَّعْفِ والسَّقَمِ؛ التماسَ الفَضْل.

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ تَهيَّأ لحربه وقام فيما أمره الله به مِنْ جِهاد عَدُوِّهِ، وقِتَالِ مَنْ أمره الله به مِمَّنْ يليه من المشركين مُشْرِكي العرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالَى بثلاث عشرة سنة [٤٦٧].

---

[٤٦٦] أخرجه البخاري (٧/ ٦٧٨) كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ـ ﷺ ـ المدينة الحديث (٣٩٢٦) وأطرافه في (١٨٨٩، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧، ٦٣٧٢) ورواه مسلم (٢/ ١٠٠٣) كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، الحديث (١٣٧٦).
ومالك في الموطأ (٢/ ٨٩٠) في الجامع، باب ما جاء في وباء المدينة، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٠ ـ ٤١) رقم (٣٧٢٤) وأحمد في مسنده (٦/ ٥٦، ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٦٠) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٦١) كتاب الطب، باب الذهاب بالصبي المريض يدعو له، الحديث (٧٥١٩).
وانظر تحفة الأشراف (١٢/ ١٩٥) رقم (١٧١٥٨).
والبيهقي في سننه (٣/ ٣٨٢) كتاب الجنائز، باب قول العائد للمريض كيف نجدك.
والبغوي في شرح السنة (٤/ ١٩٢ ـ ١٩٣) رقم (٢٠٠٦ ـ بتحقيقنا).

[٤٦٧] نقله ابن كثير في البداية والنهاية، (٣/ ٢٧٢) عن ابن إسحاق.
والحديث رواه مسلم في صحيحه (٣/ ٢٦٦) كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً الحديث (٧٣٥).
وأبو داود (١/ ٢٥٠) كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد، الحديث (٩٥٠)، والنسائي (٣/ ٢٢٣) كتاب قيام الليل، باب فضل صلاة القائم على القاعد.
وابن ماجه (١/ ٣٨٨) كتاب إقامة الصلاة، باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، الحديث (١٢٢٩).
وأحمد في المسند (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣). ورواه عبد الرزاق (٢/ ٤٧٢) رقم (٤١٢٢، ٤١٢٣). وابن خزيمة (٢/ ٢٣٦) رقم (١٢٣٧). والبيهقي في سننه (٢/ ٤٩١) كتاب الصلاة، باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد.
والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٠٥) رقم (٩٧٩ ـ بتحقيقنا).

---

(١) تجشَّمَ: تكلَّفَ.

تَاريخُ الْهِجْرَةِ

بالإسنادِ المتقدِّم عن عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكَّائِيُّ، عن محمد بن إسحاق المطلبيِّ، قال:

قَدِمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة يوم الاثنينِ حين اشتدَّ الضَّحَاءُ، وكادت الشمس تعتدلُ، لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيلةً مضتْ من شهر ربيع الأول، وهو التاريخ فيما قال ابن هشام [٤٦٨].

مدة إقامة النبي بالمدينة من غير حرب

قال ابن إسحاق: ورسولُ الله ـ ﷺ ـ يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بعثه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بِثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول، وشَهْرِ ربيع الآخر، وجُمَادَيَيْنِ، وَرَجَباً، وشَعْبانَ، وشَهْرَ رمضان، وشَوَّالاً، وذا القَعْدة، وذا الحِجَّة، وَوَلِيَ تلك الحجة المشركون، والمحرَّمَ.

أول والٍ على المدينة

ثم خرج غازياً في صَفَرٍ على رأس اثني عشر شهراً من مَقْدَمِهِ المدينةَ [٤٦٩].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سَعْدَ بن عُبَادَةَ.

غزوة ودَّانَ

وهي أول غَزَوَاته، عليه السلام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وَدَّانَ[(١)]، وهي غزوة الأَبْوَاءِ[(٢)]، يريد قرَيْشاً وبني

---

[٤٦٨] ذكره ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٩٢) والبيهقي في دلائله (٢/ ٥٠٣) نقلاً عن ابن إسحاق.
وانظر البداية والنهاية (٣/ ٢٥٣) وابن سعد في طبقاته (٢/ ٨) وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٦٩).

[٤٦٩] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) والدلائل للبيهقي (٣/ ١٠ ـ ١١) والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٩٧) والدرر (ص ٩٠) لابن عبد البر.
وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٤).

---

(١) وَدَّان ـ بفتح الواو وتشديد الدال المهملة في آخره نون ـ وهي قرية جامعة من عمل الفُرْع.

(٢) الأبواء ـ بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمدّ ـ قرية بين مكّة والمدينة، قيل سميت بذلك لِما فيها من الوباء ولو كان كما ذكر لكانت الأَوباء، أو يكون مقلوباً به، والصحيح أنها سُمِّيت بذلك لتبوىء السيول بها، قاله ثابت بن قاسم. =